الا انه لا بد من التذكير أيضا ان الاتحاد السوفياتي خاصة في أواخر الحقبة الستالينية كان يندد بشدة بالدعوات لسياسة اللاانحياز . كان يتعمد تصوير الداعين لسياسة اللاانحياز بأنهم « احتياطيو الاستعمار الغربي » وان هذه السياسة « مشبوهة » من حيث انها تؤدي الى انقسام الجبهة المعادية للاستعمار . كان لا بد في اثناء هذه الحقبة، وكان جواهرلال نهرو أبرز الداعين لهذه السياسة ، ان يتحمل ممارسو سياسة اللاانحياز والداعون لها هذا الافتراء الصادر من القيادة الستالينية وان يضعوه ضمن اطاره الحقيقي . ولقد كان تقييم سياسة اللاانحياز لهذا الموقف السوفياتي المتزمت انه ناشىء عن واقع داخلي هو سجين قوالب نظرية جامدة لكنه لا يمكن أن يؤول الى تناقضات أساسية بين الاتحاد السوفياتي وحركات التحرر في العالم الثالث . فبالنسبة لهذه الحركات كان الاتحاد السوفياتي (الستاليني) ، ولا يزال ، قوة رئيسية في مناهضة الامبريالية الاميركية . وبالتالي فان أي تباين أو اختلاف في تحديد معنى اللاانحياز لا يمكن ان يحجب حالة التلاقي المنتظم والمتوقع بين حركات التحرر وبين الاتحاد السوفياتي ، واذا كان التشهير الستاليني بسياسة اللاانحياز أدى في بعض الاحيان الى انعكاسات سلبية في علاقة حركات التحرر مع بعض الاحزاب الشيوعية الا أن هذا لم يحل دون أن تنصب محصلة نضالات القطاعين في دفع الجماهير الى مواقع متقدمة في صراعها مع الاستعمار ومع اسرائيل .

لكن الاتحاد السوفياتي ذاته بعد فترة وجيزة من نهاية العهد الستاليني دخل في مرحلة انفتاح نسبي على التباينات والمفارقات المذهبية معه الحاصلة في حركة التحرر العالمية وخاصة في العالم الثالث ، ولعل زيارة خروشوف وبولغانين للهند في عام ١٩٥٥ كانت بدء ممارسة سياسة الانفتاح . وكان من جراء هذا التبدل في الموقف أن استبدل تقييم سياسة اللاانحياز من كونها « احتياطي للاستعمار » الى كونها سياسة وطنية مناهضة للاستعمار . واستتبع هذا الانفتاح النسبي تصميما سوفياتيا على تقديم المساعدات الفعلية ، على كل المستويات ، لدول اللاانحياز من أجل تمكينها من مجابهة الابتزاز الامبريالي . وكانت صفقة الاسلحة والمعونة الاقتصادية التاريخية التي قدمها الاتحاد السوفياتي لبناء سد اسوان .

كان من جراء هذا التقارب الجديد بين المعسكر الاشتراكي ودول اللاانحياز ان اخذت الاجهزة الغربية تحاول تصوير هذه السياسة بأنها «تغطية للتبعية للاتحاد السوفياتي». وتعمد وزير خارجية الولايات المتحدة جون فوستر دلاس اهانة هذه السياسة بوصفها انها « لا أخلاقية » . الا ان طبيعة استشراس الامبريالية الاميركية ونمو مصالحها وتدخلاتها السافرة في محاولات قلب الانظمة الوطنية والتقدمية ومحاولاتها — الفاشلة فيما بعد — باجهاض الحركات التحررية خاصة في منطقة الهند الصينية — أدت جميعها الى لقاء مستمر — وان لازمه تقطع في بعض الاحيان — بين الاتحاد السوفياتي والدول اللامنحازة . وقد وضح هذا اللقاء في المواقف المشابهة التي اتخذت في الامم المتحدة . في هذا الصدد لا بد من الاشارة الى الدور الايجابي والبناء الذي لعبته سياسة اللاانحياز رغم العراقيل السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والنفسية في دفع مسيرة الانفتاح العقائدي داخل المعسكرين . صحيح انه كان هناك من عوامل ذاتية ومراجعات جذرية حصلت داخل الاحزاب الشيوعية الحاكمة التي أدت الى اتباع سياسات أكثر مرونة وأكثر تحللا من المواقف المتزمتة والدغمائية السابقة . الا ان تأكيد حركات التحرر في العالم الثالث على انتهاج حكوماتها الوطنية سياسة اللاانحياز ساهم الى حد كبير في الحيلولة دون وقوع العالم الثالث أو بالاحرى معظمه في بوتقة التحالفات الستراتيجية المنبثقة عن منطق الحرب الباردة والاستقطاب الشديد الذي قام في الخمسينات . لقد كان لتمسك معظم الدول الحديثة الاستقلال بممارسة اللاانحياز ان اعطى دفعا للقوى النيرالية — بمعنى الانفتاح لا بالمدلول البورجوازي للكلمة — أن تتحرك وتسهل عملية